الأيدي الخشنة

قصة بقلم عبد الرزاق المانع

بعد نصف ساعة سيصل المدينة ، نصف ساعة على الاكثر ، لكن هذه السيارة اللعينة ما اكثر جلبتها واهتزازها مع انها تسير على مهل، اجل هو يعرفها دائما تسير على مهل،ويخيل اليك وانت تسمع كل هذه الضجة التي تحدثها في سيرها انها توشك ان تطير . لطالما ركب مثل هذه السيارات المتقاعدة يحمل خيرات الارض الطيبة الى المدينة ليرجع بنقود المدينة وحاجياتها ، ومع ذلك ، فلم ينزعج قط من قرقعتها وبطء سيرها . بدأ السائق يجمع الاجرة . توقفت السيارة لتحمل آخرين ، سيظل سائقها يلقي بالركاب حتى تغص ويحتج الراكبون في الداخل،مثل كل مرة . دفع السائق اخر راكب ، افندي ، لا بد انه موظف ذاهب للمدينة ، دفعه من ظهره بصعوبة ليستطيع اغلاق الباب الذي يرتطم بظهر الافندي ، ثم ، تحركت السيارة .. اتراه تأخر على ابي اسماعيل!؟ اف لهذه السيارة ، لا يظنها ستصل المدينة ابدا !

لا يستطيع الواحد منا ان يتحرك بسهولة ، كالعادة ، رصفوا فوق هذه المقاعد الخشبية الضيقة باحكام ، كحجارة الرصيف ثم اغلق الباب والتقت الركب المتقابلة ببعضها ، واذا لم تكن حذرا متشبثا بجارك او بالمقعد فان رأسك سيصدم بسقف السيارة او ترتطم قاعدتك بالمقعد الخشبي .

ـ صباح الخير عمي عبود !

نظر الى الافندي الذي سلم عليه . صالح بن الحاج ياسين ، توظف اخيرا عند الحكومة في المدينة .. وعانى كثيرا لاخراج يده من جيبه،فقد اطبقت عليها حجارة الرصيف بقوة..صافحه صالح ، فشعر بيده كقشرة موز..لم يكن يدرك ذلك قبل ان ينبهه ابو اسماعيل امس حين زاره في المدينة . نظر الى الجالسين امامه وعن جنبيه ،وتسمرت عيناه على الايدي . بعضها ناعم نظيف ، وبعضها خشن مثل يديه . اعد احصائية ، اربع ايد ناعمة ، وست خشنة ، الايدي الخشنة اصحابها كلهم فلاحون مثله . عاد ينظر الى يد صالح ، ثم .. نظر بحذر الى يده، بسطها بين ركبتيه ، اصابعها متشققة واظافرها متآكلة ،وراحته الضخمة تعظم بعض لحمها ومال الى الاصفرار ...

ترى ، كيف لم ينتبه الى ذلك قبل ان يرى ابا اسماعيل امس ، قال له :

ـ ما الذي يعجبك في الريف ، ماؤه الاسن ام شظف العيش والتعب ؟ انظر .. انظر ، اهذه يد ادمي ! صلبة كالخشبة ، متقطرة تكاد تبصق دما .. قل لي ، كيف تأكل بيدك هذه !؟

ـ ولكني لا استطيع ان اترك الارض ، لقد سلخت عمري افلحها واعيش عليها ...

ـ الارض .. الارض ، وماذا اعطتك هذه الارض غير الفقر والتعب. اسمع لا داعي للتطويل يجب ان تترك الريف ، وتأتي الى هنا .

ـ وماذا افعل هنا ؟ فراش !؟

ـ يا رجل .. يا رجل ، وما في ذلك ! الا تراني اعمل انا الاخر فراشا منذ سنتين ؟ اني اعيش خيرا من عيشتك في الريف ...

ونظر الى يدي ابي اسماعيل ، كان يحركهما كثيرا ، بدتا نظيفتين بدون حراشف ، كيف استطاع ابو اسماعيل ان يجعلهما هكذا ! لقد كان هو الاخر فلاحا ، وكانت يداه متشققتين ... اذن فهو ، بلا شك ، يعيش عيشة ناعمة هنا في المدينة ...

ـ نازل .. نازل !

توقفت السيارة في احد المنعطفات ، ثلاث ايد خشنة تغادر السيارة وتحمل فوق ظهورها زنابيل كبيرة . لم يبق غير دقائق ويصل المدينة . لقد صمم اخيرا على ان يعمل مع ابي اسماعيل فراشا في نفس الدائرة وينتقل مع زوجته واطفاله الى المدينة ، ترى ماذا تقول زوجته اذا اخبرها ما اعتزم عليه ! هي الاخرى ستصبح يداها ناعمتين، ويقتصر عملها على شغل البيت ، مسكينة هذه المرأة ، لكم تشقى وتتعب! الحقل والبيت والاطفال .. لقد صدق ابو اسماعيل حين قال بانه يظلم نفسه واهله اذا اصر على هذه العيشة...

ـ في امان الله عمي عبود ..

ـ في حفظ الله ، مع السلامة ...

يد ناعمة ، نزلت من السيارة ، صالح بن الحاج ياسين ، ودعه ونزل من السيارة . ما اكثر ماتتوقف هذه السيارة ، كلما سارت بضع دقائق احسست فجأة ان امعاءك تندفع الى الاعلى وركبتيك تنغرزان بين الركب المشرعة امامك ، وصعد راكب او نزل اخر . الان صارت حجارة الرصيف ـ بعد ان اختل بناؤها وقل عددها ـ تهتز وتتدحرج فوق المقاعد الخشبية كلما اهتزت او قفزت هذه السيارة العتيدة . ابو اسماعيل ينتظره الان على احر من الجمر ، سيقول له : تفضل اعمل معي . من اليوم انت الفراش الثاني في هذه المؤسسة و .. آخ ! ما هذا !؟ لقد اوشك ان يرتطم بالمقعد المقابل .

ـ تفضلوا ...

اذن فقد وصلوا اخيرا فهذا صوت السائق . لقد سرح فلم يستعد لوقوف السيارة ، هكذا هي ، تسير بصعوبة ومشقة واذا توقفت،توقفت فجأة وبقوة ، كأنما شدت فجأة وبقوة الى الارض .

اه .. ما اجمل هذه البناية ! اليوم سيكون من العاملين في داخلها، لكن ، اين ابو اسماعيل ! ها .. انه هناك . ما هذا ! لماذا يحمل بين يديه هذه القطعة من الخيش المبللة ! سلم عليه ، فرد عليه ابو اسماعيل بايماءة من رأسه ، ومضى . رمى القطعة المبللة على الارض واقبل :

ـ اهلا بالحاج عبود ، لقد اتيت مبكرا !

ـ مبكرا وانا الذي ظننت انني تأخرت عليكم !

ـ الان اسمح لي كيما انظف وارجع اليك... هل احضرت كل اوراقك ؟

يحضر اوراقه؟وما تلك الاوراق!هل نسي ابواسماعيل بانه سيعمل هنا فراشا ! فما حاجته اذن للاوراق ، ما دام لا يقرأ ولا يكتب !! لكن، اين ذهب ابواسماعيل ! ما هذا ! لماذا يفعل ذلك ! يضغط على هذه الارضية النظيفة بتلك القطعة المبللة ، اذن هذا هو التنظيف الذي قصده! صوت جرس حاد . ترك ابو اسماعيل القطعة المبللة ومسح يديه بملابسه، هرول الى احدى الغرف ، ثم خرج وبيده اوراق ، وغاب في الداخل . اذن ، فعليه هو ، ان يفعل كل هذا ... انه ليس اكثر تعبا من عمله في الحقل .. ولكن ، ليس مشقة العمل وتعبه ما يعنيه ، انما ... وتصور نفسه يمسك بيديه المكنسة او قطعة مبللة من الخيش ، يركع على ارضية المكان يكنس ويمسح .. بدلا من الفأس والمذراة ،يضرب وجه الارض ويقلب التربة .. لا جرس يرن ، ولا رئيس يحاسبه ... عاد ابو

سؤال الليل

تهتف بي نعاسك طال
وهذا الليل يعصف بي
يؤجج النار في جسدي
تعال تعال
فعندي الوجد ، والمصباح
في خمري اضوائه
وعندي ذهلة الحاضر
جبان انت ان لم تات
دلو ناضب الماء !

***

تعال تعال
فقد عطرت امسيتي
وصدري فيه اسرار
يبوح بها اذا جئت
ونهدي قد شكا
من ضمة المحزم
تعال تعال
فك غلالتي الصفراء
اكاد اكاد انهمر

تعال فليس في حقلي
نجوم ليس من اضواء !
تعال فليلنا قصة
وفرحة نشوة كبرى !

***

ويثملني ندى الصوت
سري كشرارة الفجر
ولكني كعنترة
صبور لحظة الموت
اريد اعانق الشلال
في اوج انصباباته
اريد ازعزع الاغلال
اريد اعيش كالموج
اريد اشق كالملاح نهر الصمت
اريد اعيش في احضان عاصفة
وفي زمجرة الرعد
اريد اهيم في موحش غابات
اريد اريد انطلق
وحيدا في دثار الليل

تسبقني انفعالاتي

***

احسنائي
وفيك ضراوة الماء
ومسكنة الحرباء
انا بعض انفجارات
مشوقا كنت للدن
وللاسمار بين تناثر المزن
ولكني قتلت الليل في نفسي
وذاب وميض احلامي
على اشلاء من حسي
دعيني في نعاس الامس
اهذي مثل مخمور
دعيني في طفولة حلمي الغابر
دعيني في وصيد الباب
لا ، لاتفتحي البابا
ساهرب ان فتحت الباب
واشرد في رحاب الغاب !

الرياض **حسن عبد الله القرشي**

اسماعيل هرول نحوه :

ـ لحظة .. لحظة وآتيك .

انحنى ابو اسماعيل ثانية على القطعة المبللة ، وغمسها في سطل بجانبه مملوء بالماء.. اوراق ، ليت ابو اسماعيل يوضح له حكاية الاوراق هذه ! اناس كثيرون بدأوا يتوافدون الى هنا ، بينهم اربعة فلاحين، ما يفعل هؤلاء هنا ! هل يسألهم ! كلا .. ربما اعتبروا ذلك تطفلا . اقبل ابو اسماعيل ،قال :

ـ هل تأخرت عليك ؟! لا بأس ، هناك فقط مسح غرفة واحدة،انني بمفردي ، فراش تقاعد والاخر ترك العمل .. ولكن ، الاوراق .. هناك ما يزيد على العشرة اشخاص تقدموا للعمل عندنا ، والمؤسسة لا تريد غير اثنين ، انظر ، هؤلاء الاربعة ايضا متقدمون للعمل هنا ، ومعهم اوراقهم كاملة ..

ـ اية اوراق ؟!

ـ اوراق المعاملة ، دفتر النفوس ، شهادة الجنسية ، دفتر الخدمة العسكرية ، شهادة التلقيح ، شهادة من الصحة و ..

رن الجرس الحاد مرة ثانية، فهرول ابو اسماعيل ، ما هذا . !! كل تلك الاشياء مطلوبة منه ، من اين يأتي بها ! ولكن ، ما الداعي لكل تلك الاشياء ! انه يريد ان يعمل فراشة فما لزوم كل هذه الاوراق !؟

ـ اسمع يا حاج عبود ، يجب ان تحضر اوراقك بسرعة ، عسى ان اتمكن من مساعدتك ، فالمتقدمون للعمل كثيرون .

ـ ولكن يا ابا اسماعيل ..

ـ لا تقاطعني ، انا ذاهب الان ، لكي اوصل اولاد المدير للمدرسة..

(يوصل اولاد المدير للمدرسة .. !!) .. انتظرني ساعود اليك..

ـ ابو اسماعيل ، تعال ، لماذا لم تنظف المكتب !

ـ حاضر ، حاضر ياستاذ.

رن الجرس مرة ثالثة ، صاح (الاستاذ) ثانية : (ابو اسماعيل..) ابو اسماعيل في حيرة .. جرس اخر يرن، صوت من الداخل ينادي : (شاي ، ابو اسماعيل ..) (نظف المكتب ابو اسماعيل ..) .

واحد من الفلاحين الاربعة يقترب منه ، يحمل في يده ملفا فيه اوراق :

ـ هل ..هل انت متقدم للعمل هنا ايضا ؟

رفع بصره الى المتكلم ، رأى عينيه تنتظران جوابا بالرفض :

ـ كلا .. انما جئت لزيارة قريبي هنا .. و .. وها انا ذاهب .

حين وضع قدمه في الخارج ، شعر براحة عجيبة ، واحس بانه انتشل نفسه في اخر الامر .. وسار بسرعة . لم تضايقه السيارة هذه المرة بسيرها ، ولا ضايقته مقاعدها الخشبية الضيقة ، واشترك في احاديث الركاب ولغطهم ، اغلبهم فلاحون ، عادوا من المدينة يحملون زنابيلهم فارغة ، بعد ان باعوا بضاعتهم .

كان اول شيء فعله حين وصل الى بيته ، ان نزع الفأس من قرب الشجرة ورفعه في الهواء ثم أهوى به بقوة على الارض .وفعل ذلك عدة مرات ... واحس بانه يود ان يقبل تراب الارض ، ارضه المعطاء . ثم، بسط يديه الخشنتين ونظر اليهما بزهو .. وابتسم .

عبد الرزاق المانع